الفصـــل العاشـــر
« الأئمـــة وعلم الغيـــب »

علم الغيب من الأمور التي اختص الله بها ، قال الله تعالى (له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً) (١) وقال تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) (٢).

وامتدح الله عز وجل من آمن بالغيب ووكل علمه إلى الله ، قال الله تعالى (آلم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب) (٣).

وذم من ادعى علم الغيب ، أو ادعى الاطلاع عليه ، قال تعالى (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولداً . اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً. كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مـداً) (٤)وقال سبحانه (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) (٥).

ونفى علم الغيب عن خلقه حتى عن سيدهم وإمامهم نبينا محمد ﷺ فقال سبحانه على لسانه ﷺ (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) (٦)وقال تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (٧)وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب ، وهو يقول (لا تدركه الأبصار)(٨) ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب . وفي رواية مسلم : ومن

(١) سورة الكهف آية ٢٦ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٧٩ .
(٣) سورة البقرة آية ١ إلى آية ٣ .
(٤) سورة مريم آية ٧٧ إلى آية ٧٩ .
(٥) سورة الطور آية ٤١ .
(٦) سورة الأنعام آية ٥٠
(٧) سورة الأعراف آية ١٨٨ .
(٨) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول (لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) (٩) (١٠).

وبين سبحانه أن الممنوعين من علم الغيب ليسوا البشر وحدهم بل وحتى الملائكة عليهم السلام مع قربهم من الله عز وجل ، وما حباهم به من علم وقدرات لا يمتلكها أحد من البشر ، قال تعالى (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) (١١)والجن كذلك لا يعلمون الغيب ، قال الله تعالى (فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) (١٢).

وأخبر سبحانه وتعالى أن للغيب مفاتح لا يعلمها إلا هو سبحانه فقال (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (١٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ، ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) (١٤) (١٥).

وهناك جزء يسير من الغيب أطلع الله عز وجل عليه بعض خلقه ، وهم الأنبياء والرسل والملائكة عليهم السلام ليتحقق الابتلاء الذي خلق الله الخلق من أجله ، وليكون معجزة لمن أرسله الله عز وجل ، مثلما أخبر به رسول الله ﷺ من أنباء الأمم السابقة ، وبعض ما سيحدث في المستقبل من علامات الساعة ونحوها ، قال الله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ما كنت تعلمها أنت

---

(٩) سورة النمل آية ٦٥ .
(١٠) متفق عليه .
(١١) سورة البقرة آية ٣٢ .
(١٢) سورة سبأ آية ١٤ .
(١٣) سورة الأنعام آية ٥٩ .
(١٤) سورة لقمان آية ٣٤ .
(١٥) رواه مسلم .

ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) (١٦)وقال تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا) (١٧).

ومع كل ما ذكرنا من آيات وأحاديث تثبت أن علم الغيب من الأمور التي اختص الله عز وجل بها ، إلا أن الروافض أبوا الانقياد لها ، والتصديق بها ، وادعوا للأئمتهم ما لا يعلمه إلا الله سبحانه ، وقالوا : إن الإمام يعلم علم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وأنه يعلم جميع ما يجري في الكون ، وأنه يعلم متى يموت ولا يموت إلا باختياره ، وأنه يعلم لغات جميع البشر والجن والحيوانات حتى الوزغ ، وغير ذلك مما تقشعر منه الجلود .

وإليك ــ أخي المسلم ــ ما قالوه عن علم أئمتهم للغيب :

يدعي الروافض أن علم أئمتهم للغيب علم حضوري غير مكتسب ، بل هو إلهام من الله تعالى ، وهو غير معلق على الإرادة والمشيئة .

قال المظفر في كتابه (علم الإمام) : العلم الحضوري هو : ما كان موهوباً من العلام سبحانه ، ومستفاضاً منه ، وهذا العلم اختص به الإمام من دون غيره من الأنام (١٨).

وقال عن أئمته إنهم : علماء بكل شيء علماً حضورياً ، مما كان ، ويكون ، وما هو كائن ، وفي كل فن وحكم وأمر ، فلا يجوز أن يسأل الإمام عن شيء مهما كان ولا يكون عنده علمه ، ولا يحدث شيء وهو غير خبير به (١٩).

وقال : الصفات في الإمام أتم الصفات ، ولا تكون أتمها ما لم يكن علمه حضورياً غير معلق على الإشاءة والإرادة ، لأن العلم المعلق على الإشاءة كمال لا أكمل ، وفضيلة لا أفضل (٢٠).

---

(١٦) سورة هود آية ٤٩ .

(١٧) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(١٨) (علم الإمام) لمحمد حسين المظفر (ص ٦) .

(١٩) (علم الإمام) لمحمد حسين المظفر (ص ١٥) .

(٢٠) (علم الإمام) لمحمد حسين المظفر (ص ١٧) .

وقال : إن عموم العلم المخزون عندهم شامل لكل أمر من حكم أو موضوع كلي أو جزئي (٢١).

فهل هناك صراحة ووضوح أكثر من هذا ؟ وهل هناك تجرؤ على الله أعظم من هذا ؟ نعم ، وإليك المزيد :

ادعى الروافض أن الأئمة هم موضع سر الله ، فقد نسبوا إلى علي رضي الله عنه أنه قال عن أهل بيته أنهم موضع سر الله : هم موضع سره ، ولجأ أمره ، وعيبة علمه ، وموئل حكمه ، وكهوف كتبه ، وجبال دينه ، بهم أقام انحناء ظهره ، وأذهب ارتعاد فرائصة (٢٢).

ونسبوا إليه أيضاً أنه قال : فتحت لي الأسباب ، وأجري ليّ السحاب ، ونظرت في ملكوت لم يعزب عني شيء فات ، ولم يفتني ما سبقني ، ولم يشاركني أحد فيما أشهدني ربي يوم يقوم الأشهاد ، وبي يتم الله موعده ، ويكمل كلمته ، وأنا النعمة التي أنعمها الله على خلقه ، وأنا الإسلام الذي ارتضاه لنفسه (٢٣).

ونسبوا إليه أيضاً أنه قال: لقد أعطيت علم المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني (٢٤).

ونسبوا إليه أيضاً أنه قال : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها ، وسائقها ومناخ ركابها ، ومحط رحالها ، ومن يقتل من أهلها قتلًا ، ومن يموت موتاً (٢٥).

وروى الكليني : عن جعفر بن محمد أنه قال : إني لأعلم ما في السموات

---

(٢١) (علم الإمام) لمحمد حسين المظفر (ص ٢٩) .
(٢٢) (نهج البلاغة) (١ /٣٧) .
(٢٣) (كتاب سليم بن قيس) (ص ١٤٢) .
(٢٤) (الأصول من الكافي) (١ /١٩٧) .
(٢٥) (نهج البلاغة) (٢ /١٨٣) .

وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون (٢٦).

ونحن نقول : إن ربنا عز وجل يقول (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) (٢٧).

ومن تجرأ وتطاول على الله تعالى فلا يستبعد منه التطاول على الملائكة والرسل عليهم السلام ، فهذا الكليني يروي : عن أبي جعفر أنه ذكر علم النبيين من لدن آدم إلى محمد ﷺ ، وأن علمهم كلهم قد صار إلى علي بن أبي طالب ، فسأله رجل : يا ابن رسول الله ، فأمير المؤمنين (ع) أعلم أم بعض النبيين ؟ فرد عليه مستنكراً : اسمعوا ما يقول ، إني حدثته أنه جمع له علم جميع النبيين ، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين (٢٨)؟

وروى : عن أبي جعفر (ع) : ليس شيء تعلمه الملائكة والرسل إلا ونحن نعلمه (٢٩).

أما عن علمهم بجميع اللغات ، وبكتب الأنبياء عليهم السلام فقد روى الكليني : أن رجلًا قال لجعفر بن محمد : أنى لكم التوراة والإنجيل ، وكتب النبيين ؟ فقال : هي عندنا وراثة من عندهم ، نقرؤها كما قرؤوها ، ونقولها كما قالوا ، إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول : لا أدري (٣٠).

وروى : عن أبي الحسن قال : إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس لا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح ، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام (٣١) .

بل وحتى مالا روح فيه ، فقد نسب الحكيمي إلى علي رضي الله عنه أنه سمع صوت ناقوس كنيسة ، ففسر لمن معه ما يقول الناقوس عندما يدق ، فقال :

(٢٦) (الأصول من الكافي) (١ /٢٦١) .
(٢٧) سورة النمل آية ٦٥ .
(٢٨) (الأصول من الكافي) (١ / ٢٢٢) .
(٢٩) (الأصول من الكافي) (١ /٢٥٦) .
(٣٠) (الأصول من الكافي) (١ /٢٢٧) .
(٣١) (الأصول من الكافي) (١ /٢٨٥) .

يقول الناقوس:سبحان الله حقاً حقاً ، إن المولى صمد يبقى ، يحلم عنا رفقاً رفقاً ، لولا حلمه كنا نشقى ، حقاً حقاً صدقاً صدقاً ــ واستمر في هذا الهذيان المضحك صحيفة كاملة تقريباً إلى أن قال ــ يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً ، يا ابن الدنيا مهلًا مهلًا ، يا ابن الدنيا دقاً دقاً وزناً وزناً ... خيراً خيراً ، شراً شراً، شيئاً شيئاً ، حزناً حزناً ... قال : ثم انقطع صوت الناقوس ، فسمع صاحب الدير ذلك وأسلم ، وقال : إني وجدت في الكتاب : أن في آخر النبيين من يفسر ما يقول الناقوس (٣٢) .

ولغات الملائكة عليهم السلام كذلك ، فقد ذكر الحكيمي قصة ولادة الحسين ، وأنه لما جاء الصحابة يهنئون النبي ﷺ به وجدوا عنده ملائكة فأخبرهم علي أنهم مائة وأربعة وعشرون ألف ملك . فتعجبوا من هذا ، وأخبروا رسول الله ﷺ ، فاقبل بوجهه إلى علي متبسماً ، وقال : ما علمك أنه هبط علي مائة وأربعة وعشرون ألف ملك ؟ فقال علي : سمعت مائة ألف لغة وعشرين ألف لغة فعلمت أنهم مائة وأربعة وعشرون ألف ملك (٣٣) .

أما الحيوانات فأمرها هين بعد هذا ، فقد نسب الحكيمي إلى علي رضي الله عنه أنه قال:نقيق الديك : اذكروا الله يا غافلين ، وصهيل الفرس : اللهم انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين ، ونهيق الحمار : أن يلعن العشارين وينهق في عين الشيطان ، ونقيق الضفدع : سبحان ربي المعبود المسبح في لجج البحار، وأنين القبرة : اللهم اللعن مبغضي آل محمد (٣٤) .

وفي (علم الإمام) للمظفر : ما ينقلب جناح طائر في الهواء إلا وعند الأئمة علم منه (٣٥) .

وفي (مثير الأحزان) : أن الحسين قال لأم سلمة ، وهو بالمدينة : إني والله لأعرف اليوم الذي فيه أقتل ، وأعرف من يقتلني ، وأعرف البقعة التي أدفن

(٣٢) (سلوني قبل أن تفقدوني) للحكيمي (٢ /١٧٧) .
(٣٣) (سلوني قبل أن تفقدوني) للحكيمي (٢ /١٧٦) .
(٣٤) (سلوني قبل أن تفقدوني) (٢ /١٧٦) .
(٣٥) (علم الإمام) لمحمد حسين المظفر (ص ٣٥) .

فيها ، وأني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي ، وإن أردت أريك حفرتي ومضجعي ، ثم أشار إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده (٣٦) .

بل بوب الكليني في الكافي باباً بعنوان (باب أن الأئمة (ع) يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم) (٣٧) .

ويوضح من اختلق هذا الأثر على لسان جعفر بن محمد أنواع علم الأئمة فيقول : إن علمنا غابر ، ومزبور ، ونكت في القلوب ، ونقر في الأسماع ، فأما الغابر فما تقدم من علمنا ، وأما المزبور فما يأتينا ، وأما النكت في القلوب فإلهام ، أوما النقر في الأسماع فأمر الملك (٣٨).

ارأيت ــ أخي المسلم ــ كيف يدعي هؤلاء أن الوحي ينزل عليهم ؟

ويأتي بطامة أخرى ، وهي طريقة ازدياده علماً فيقول : إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله ﷺ العرش ، ووافى الأئمة عليهم السلام ، ووافيت معهم فما أرجع إلا بعلم مستفاد (٣٩).

ولم يكفهم هذا التطاول على الله عز وجل حتى أتوا بما هو أشد من ذلك وهو ادعاء أنه لا يخرج شيء من عند الله حتى يعلمه الأئمة : قال جعفر بن محمد : ليس يخرج شيء من عند الله حتى يبدأ برسول الله ﷺ ، ثم بأمير المؤمنين عليه السلام ، ثم بواحد بعد واحد لكيلا يكون أولنا أعلم من آخرنا (٤٠)

وفي قوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء) قال أبو جعفر : علم الإمام (٤١)

---

(٣٦) (مثير الأحزان) لشريف الجوهري (ص ٩) .
(٣٧) (الأصول من الكافي) (١ /٢٥٨) .
(٣٨) (الأصول من الكافي) (١ /٢٦٤) .
(٣٩) (الأصول من الكافي) (١ /٢٥٤) .
(٤٠) (الأصول من الكافي) (١ /٢٥٥) .
(٤١) (الأصول من الكافي) (١ /٤٢٩) .

وروى فرات : قال علي بن أبي طالب (ع) : ما بعث الله نبياً إلا وأنا أقضي دينه ، وأنجز عدته ، ولقد اصطفاني ربي بالعلم والظفر ، ولقد وفدت إلى ربي اثني عشر وفادة ، فعرفني نفسه ، وأعطاني مفاتيح الغيب (٤٢).

وكأن هذا كله لم يكفهم فادعوا معرفة اسم الله الأعظم ، فروى الكليني : قال أبو جعفر (ع) : إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنما كان عند آصف ــ الذي حمل عرش بلقيس ــ منها حرف واحد فتكلم به فخسف الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف واحد عند الله (٤٣).

قلت : مساكين هم أهل بلاد ما بين اليمن والشام ، ما ندري ما فعل الله بهم مع ذلك الخسف المروع ؟ ولكن الأهم من ذلك : سؤالنا عن الحروف التي بلغت اثنين وسبعين ضعفاً لحرف آصف ، أما كان باستطاعه من يملكها الاستيلاء على سرير الخلافة الذي يسيل عليه لعاب الروافض ؟ وهل جيش أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي لا يتجاوز بضع مئات من المحاربين يستطيع أن يقف في وجه هذه الحروف وهي مجتمعة ويمنعها من كرسي الخلافة ؟

فعلى عقولكم العفاء فإنكم * * ثلثتم العنقاء والغيلانا

واستمع ــ أخي المسلم ــ إلى هذه : روى الكليني في الكافي : استأذن على أبي جعفر (ع) قوم من أهل النواحي من الشيعة ، فأذن لهم فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب ، وله عشر سنين (٤٤).

الآن أطلب منك ــ أيها الأخ المسلم ــ أن تفكر معي قليلًا في هذا الكم الهائل من المسائل : ثلاثون ألف مسألة فى مجلس واحد !!! .

إننا لو افترضنا ــ جدلًا ــ أن كل مسألة في سطرين فقط ، وهذا لا يمكن لكن نقول : نفترض جدلًا أن كل مسألة فى سطرين ، وفي كل صحيفة،

(٤٢) (تفسير فرات الكوفي) (ص ١٣) .
(٤٣) (الأصول من الكافي) (١ / ٢٣٠) .
(٤٤) (الأصول من الكافي) (١ / ٤٩٦) .

ثلاثون سطراً ، فسيكون ناتج ذلك : أربعة مجلدات ، في كل مجلد خمسمائة صحيفة ، ثم لو افترضنا ــ جدلاً ــ أن جواب كل مسألة كالمسألة في سطرين، فإن ناتج ذلك سيكون أربعة مجلدات كالتي قبلها . ولو افترضنا ــ جدلاً أيضاً ــ أنهم كانوا يقرؤون المسائل ، وهو يجيب عليها بسرعة فائقة ، ولا يستفسر عن أي شيء يسألونه عنه ، ولا يحقق في تلك المسائل ، فإن الوقت الذي تستغرقه هذه المسائل ــ مع الافتراض الجدلي الذي لا يمكن أن يقع ــ هو بضعة أيام بدون نوم أو أكل أو شرب بل قراءة متواصلة ، فكيف يكون ذلك في مجلس واحد ؟

وهو ابن عشر سنين . لكن صدق من قال (استراح من لا عقل له) .

ويتحفنا الكليني بهذه الرواية العجيبة فيقول : عن أبي بصير ، قال : دخلت على أبي عبد الله (ع) فقلت له : جعلت فداك ، إني أسألك عن مسألة . ههنا أحد يسمع كلامي ؟ قال : فرفع أبو عبد الله (ع) ستراً بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ، ثم قال : سل عما بدالك ، قلت : جعلت فداك ، إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ علم علياً (ع) باباً يفتح له منه ألف باب ، قال : يا أبا محمد ، ألف باب يفتح من كل باب ألف باب ، قلت : هذا والله العلم ! قال : فنكت ساعة في الأرض ، ثم قال : إنه لعلم ، وما هو بذلك ، يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة ، وما يدريهم ما الجامعة ؟ قلت : جعلت فداك ، وما الجامعة ؟ قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه ، وخط علي بيمينه ، فيها كل حلال وحرام ، وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش ... قلت : هذا والله العلم ! قال : إنه لعلم وليس بذاك ، وإن عندنا الجفر ، وما يدريهم ما الجفر ؟ قلت : جعلت فداك ، وما الجفر ؟ قال : وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ، قلت : إن هذا هو العلم ! قال : إنه لعلم وليس بذاك ، وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟ قلت : ما مصحف فاطمة (ع) ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، قلت : هذا والله العلم ! قال : أنه لعلم وما

هو بذاك ، وإن عندنا علم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، قلت : جعلت فداك ، هذا والله العلم ! قال : إنه لعلم ، وليس بذاك ، قلت : جعلت فداك فأي شيء العلم ؟ قال : ما يحدث بالليل والنهار ، الأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة (٤٥).

وفي الختام نذكر ما قاله حجتهم المظفر عن الأئمة ، قال : الله ، ما أكبر منازلكم أيها السادة الأوصياء عند رب السماء ! وما أرفع مراتبكم أيها الهداة عند خالق الأرض والسموات ، فقد رفعكم فوق منازل النبيين ، وسما بكم على معارج المرسلين ، حتى أطلعكم على ما استأثر به من العلم ، واختصكم بما لم يظهر عليه أولى العزم من الرسل (٤٦).

« هـزالـــة »
« الترجمـــة بالجملـــة »

نسبوا إلى الحسن رضي الله عنه أنه قال : إن لله مدينتين : إحداهما بالمشرق. والأخرى بالمغرب ، عليهما سور من حديد ، وعلى كل سور منهما ألف ألف مصراع ، وفيها سبعون ألف ألف لغة ، يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها ، **وأنا أعرف جميع اللغات ، وما فيها وما بينهما ، وما عليهما حجة غيري وغير أخي الحسين** (٤٧).

---

(٤٥) (الأصول من الكافي) (١ /٢٣٨) .
(٤٦) (علم الإمام) لمحمد حسين المظفر (ص ٢٩) .
(٤٧) (الأصول من الكافي) (١ /٤٦٢) .